

الجملة العربية في التأليف العراقي المعاصر

د. سامان صلاح صابر

إنَّ الجملة (أو التركيب الاسنادي) يمثل نواة دراسة النحو العربي، ومن أجلها قام هذا النحو، وهي أقل قدر من الكلام يفيد السامع منه معنى مستقلاً بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أم أكثر(١).
فالمتتبع للمصنفات النحوية يدرك من دون عناء أنَّ دراسة الجمل لم تتل منذ النشأة الأولى لهذا العلم حظاً وافراً من الدراسة والبحث، وظلت دراستها تتردد بين النحاة في حيز ضيق يهتم بإعراب أركان الجملة الاسمية والجملة الفعلية، مع الإشارة - أحياناً - إلى عدد من الجمل التي تحل محل الاسم المضرد في الإعراب، كالصفة، والخبر، حتى جاء المرادي (٧٤٩هـ) فألف رسالة في جمل الإعراب، ثم جاء من بعده ابن هشام الانصاري (٧٦١هـ) فألف مغني اللبيب - وافرد فيه للجملة باباً واسعاً نقل فيه ما قيل عن العلماء في هذا الصدد(٢).

ولعل من نافلة القول أنَّ النحاة بذلوا جهداً مباركاً في جمع النحو ودراسته، وأخلصوا له، فتركوا لنا تراثاً ثراً يزخر بالفكر الخلاق، مازلنا إلى يومنا هذا نفتات منه؛ لإيمانهم العميق بأنَّ ما قاموا به ينصب في خدمة اللسان العربي الذي هو لغة التنزيل العزيز؛ إذ تعرض (الدكتور. علي جابر المنصوري) لدراسة الجملة في المؤلفات النحوية، قائلاً: ((دراسة الجملة بدأت بسيرة، إذ كانت اشارات قليلة لمج بها سيبويه في باب المسند اليه(٣)، وظلت هكذا حتى عصر الزجاجي الذي أُلّف كتاباً بهذا الاسم (اي كتاب الجمل)، ليس للجمل فيه نصيب إلاَّ باب (حكايات الجمل)(٤).... ثم أزداد هذا النشاط لدراسة الجملة عند أبي علي الفارسي، فقد أشار بلمحة سريعة إلى تأليف الجمل في كتابه: ((الإيضاح العضدي)) في ((باب ما إذا اختلف من هذه الكلم الثلاث كان كلاماً مستقلاً)) (٥).

إنَّ التمعن في هذين الرأيين يظهر أنَّ مصطلح الجملة لم يكن مصاحباً لحركة التأليف النحوي، بل تخلف عنها بما يربو على قرن من الزمان، إذ لم يستعمله سيبويه؛ لأنه كان يُعنى بالتمثيل ويوصف التراكيب، في أغلب الأحيان من دون تسمية، فلم نعثر على هذا المصطلح في أثناء الكتاب. يقول (الدكتور. عبد الرحمن الحاج صالح): ((أمر غريب... الأ يوجد أي أثر لكلمة (الجملة) في كتاب سيبويه، وكذلك العبارة (جملة مفيدة) لا أثر لها في الكتاب)) (١٠).

إذ تناول النحاة مباحث (الجملة) بشيء من الخلط مع مصطلح (الكلام)، فقد رأى بعضهم إنَّ (الجملة) هي: ((الصورة التركيبية للكلام الذي أصطلح

على مناهج النحاة في كل عصور التأليف النحوي، وظل البحث في الجملة أمراً ثانوياً لا يمتلك مقومات التأثير الايجابي في تلك المناهج، ولابد هنا من تأكيد حقيقة واضحة هي أنَّ الجملة وجدت من يدرسها في بحثه من دون أن يجعلها الأساس في التبويب. أي أنها أستطاعت أن تشغل جزءاً كبيراً من أبواب النحو الأخرى، وكان الرائد في ذلك سيبويه، من دون ان يصطلح عليها هذا المصطلح، وتابعه المبرد، وذلك بدراسة ماسمياًه ((المسند اليه)) بيد أنَّ أول من أعتنى بالجملة عناية واضحة وخصص لها جزءاً مهماً من كتابه، هو ابوبكر بن السراج (٣١٦هـ) (٨)، إذ توسع في مباحثها وفصل القول في أركانها)) (٩).

ثم عقد لهذا الكلام باباً واسعاً في كتابه (العسكريات) (٦) - كان أول باب ناضج يبحث متكامل وصل اليه - عالج فيه موضوع الجمل، إذ عني بدراسة الجملة،... فعالجها من حيث كونها اسمية؛ وفعلية؛ وظرفية؛ وشرطية في أربعة أقسام، ومن حيث كونها جملة نداء، أو قسم، وهذه العناية تفرض علينا أن نقول: إنَّ دراسة أبي علي للجملة دراسة رائدة سواء في بحثه هذا الذي بين أيدينا، أو في دراساته المتناثرة في كتبه الأخرى كما في الإيضاح)) (٧).
وأظهر (كريم حسين ناصح) موقع الجملة في التأليف النحوي، قائلاً: ((لم يكن لهذا الأساس أثرٌ كبيرٌ في التأليف النحوية، إذ هيمنت فكرة التقسيم الثلاثي

مأسند بعضه إلى بعض سواء اكانت هي المقصودة- اي هي التي تؤدي المعنى المراد- أم لا، إذ إن بعض الجمل لا تؤدي المقصود مثل جملة خبر المبتدأ كما في قولنا: (محمدٌ أنذرُ الناسَ) فجملة (انذر الناس) جملة تضمنت إسناداً أصلياً، لكنها لم تكن مقصودة لذاتها، بل المقصود هو الاخبار بها عن (محمد) وهذا هو الذي يؤديه الكلام الذي يشمل كل أجزاء عبارة (محمد أنذر الناس)، فهي لا تؤدي القصد كاملاً، بل يؤديه الكلام الذي يشمل هذه العبارة بجمع أجزائها.

وهكذا تكون الجملة أعم من الكلام، فكلاهما يتضمن الإسناد الأصلي، ثم يضاف اليه قيد الإسناد الاصلي في الكلام ليخصه، ولا يشركه الجملة في هذا القيد.

ويبدو أن ماجاء به الرضي يمثل ثمرة جهود كبيرة فقد دخل مصطلحا الكلام والجملة مرحلة حاسمة إذ تمكن أن ينضح هذه الثمرة ليقدمها لمن أتى من بعده ومنهم أبين هشام(٧٦١هـ). فالكلام أحص من الجملة عند الرضي وأبين هشام، وقد نازعهم القائلون بالترادف، الذين يرون أن الكلام والجملة ليس بينهما عموم وخصوص فهما متساويان في الدلالة(٢٧).

ومتل أبين هشام مرحلة نضج في مصطلح الجملة، إذ قال بعد أن عرف كلا منهما: إنهما: ((ليسا مترادفين... والصواب أنها أعم منه، إذ شرطه الإفادة، بخلافها)) (٢٨)، ويضيف أيضاً: ((فكل كلام جملة، ولا ينعكس، ألا ترى أن نحو(إن قام زيد) من قولك: (إن قام زيد قام عمرو) يسمى جملة ولا يسمى كلاماً))

أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف تراكيها)) (١٥).

ودرج على أستعمالها بهذا المعنى جمع من النحاة مثل المبرد، وأبين السراج، وعبد القاهرالجرجاني (٤٧١هـ) (١٦)، والحريري(٥١٦هـ) (١٧)، والزمخشري(٥٢٨هـ) (١٨)، وأبين الخشاب(٥٦٧هـ) (١٩)، وأبي البقاء العكبري(٦١٦هـ) (٢٠)، وأبين يعيش(٦٤٣هـ) (٢١).

وكان(حسن عبد الغني الأسدي) قد أشار إلى أن أبين جني قد فرق بين المصطلحين (٢٢)، إلا أن هذا القول فيه نظر، إذ أتضح أنه رأى أنهما مترادفان.

وجاء بعد هذه المرحلة من فرق بين هذين المصطلحين (الجملة) و(الكلام) بجعل الجملة أعم من الكلام، وكان في مقدمة أولئك أبين مالك(٦٧٢هـ) إذ صرح بالفرق بينهما، فقد عرف الكلام بقوله ((الكلام ماتضمن من الكلم اسناداً مفيداً مقصوداً لذاته)) (٢٣)، وأراد بقيد (ذاته) إخراج ماهو مقصود لغيره كجملة الصلة (٢٤)، نحوقام أبوه، من قولنا: جاء الذي قام أبوه، فهي جملة وليست كلاماً؛ لأن الإسناد فيها ((ليس مقصوداً لذاته، بل لتعيين الموصول وتوضيحه، ومثلها الجملة الخبرية، والحالية، والنعنية)) (٢٥). إذ لم تقصد لذاتها، بل لغيرها، فليست كلاماً، بل جزء كلام.

وذهب الرضي(٦٨٦هـ) هذا المذهب أيضاً فقال: ((والفرق بين الجملة والكلام: أن الجملة ماتضمن الإسناد الاصلي، سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا... فكل كلام جملة، ولا ينعكس)) (٢٦).

يفهم من هذا أن الجملة هي كل

عليه عند النحاة بعبارة اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها)) (١١)، أو هي (التركيب المفيد) (١٢).

وأستعمل النحاة الجملة بمعنى اصطلاحى مرادف للكلام في القرن الثالث الهجري، ولعل المبرد(٢٨٥هـ) أول من أستعملها كذلك في مواضع متفرقة من كتابه (المقتضب) للإشارة إلى: الفعل وفاعله والمبتدأ وخبره، فقد ولد هذا المصطلح عنده، مع أن الفراء (٢٠٧ هـ) يمثل البداية أو المرحلة المبكرة غير المستقرة لتحول الجملة من الاستعمال اللغوي إلى الاستعمال الاصطلاحى الذي استقر عنده إذ قال: ((إنما كان الفاعل رفعاً؛ لأنه هو والفعل جملة يحسن السكوت عليها وتجب بها الفائدة)) (١٣).

وساوى بعض النحاة في المرحلة التي تلت سيبويه بين مصطلحي (الكلام) و(الجملة) ونظروا إليهما على أنهما مترادفان، يقصد بكل واحد منهما ما يقصد بالآخر، وهو اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها، من دون إشارة إلى تعميم، أو تخصيص، وكان الرماني(٢٨٤هـ) أول من عرفها حسبما تبين لنا بقوله: ((الجملة هي المبنية من موضوع ومحمول للفائدة)) (١٤). وهو تعريف يمنحها مضموناً مماثلاً لمضمون الكلام اصطلاحاً.

ويأتى أبو الفتح أبين جني(٢٩٢هـ) على رأس القائلين بالترادف بين الجملة والكلام، إذ عرف (الكلام) بأنه ((كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل، وهو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها المستغنية عن غيرها، وهي التي يسميها

٢٩). أي أن الجملة لا يشترط فيها إفادة المعنى المقصود بذاتها، بعكس الكلام الذي يشترط فيه الإفادة، فالكلام أخص منها. وبعد زمن الرضي وأبن هشام أصبحت الغلبة لمصطلح (الجملة) وما زالت تلك الغلبة في عصرنا الحاضر، فما عدنا نسمع بالجملة الاسمية والفعلية، والشروطية، والظرفية فقط، وإنما نجد البحوث والدراسات الكثيرة والمتنوعة في جملة الخبر، والصلة، والصفة، والحال، والقسم، وبحثت أساليب الكلام على أنها جمل، فهي خبرية وإنشائية وطلبية، وفي كل واحدة منها أنواع أخرى من الجمل، كجملة الأمر والنهي والاستفهام والدعاء... إلخ. وبسبب هذا الاهتمام بالجملة دخل الباحثون في كل زاوية من بنائها، فدرسوا الفعل والفاعل، ونائب الفاعل، والمبتدأ والخبر. ولم تقتصر بحوثهم على العناصر الإسنادية في الجملة وإنما شملت العناصر غير الإسنادية للوقوف على كل لبنة في بناء الجملة سواء أساسية كانت أم غير أساسية؛ لأنها جميعاً تشترك بتحقيق الفائدة في الكلام، التي هي شرط أساسي فيه.

ورأى (مالك المطليبي) أن الكلام مركب أولي ناتج عن الإسناد، في حين أن الجملة هي المركب النهائي، الذي يتألف من أكثر من مركب أولي (٢٠).

ويقول (الدكتور.فاضل السامرائي): ((إلا أن الذي عليه جمهور النحاة أن الكلام والجملة مختلفان، فإن شرط الكلام الإفادة ولا يشترط في الجملة أن تكون مفيدة وإنما يشترط فيها اسناد سواء افاد أم لم يفد فهي أعم من الكلام إذ كل كلام مفيد وليس كل جملة مفيدة،

جاء في (التعريفات) في تعريف الجملة أنها ((عبارة عن مركب من كلمتين اسندت إحداهما إلى الأخرى سواء أفاد كقولك: (زيد قام) أو لم يفد كقولك: (ان يكرمني) فإنه جملة لاتفيد إلا بعد مجيء جوابه فتكون أعم من الكلام مطلقاً)) (٢١).

وذكر أبن هشام أن ((الكلام في اصطلاح النحويين- عبارة عما اجتمع فيه أمران: اللفظ والافادة... والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه)) (٢٢).

وخلص (محمد جواد الطريحي) إلى القول: ((إن الجملة قد تكون كلاماً، وقد لا تكون، والكلام يكون جملة أو أكثر من جملة مثل عبارة الشرط فشرط الكلام الفائدة، ولا يشترط في الجملة غير العلاقة الإسنادية، إذن ليس الكلام مساوياً للجملة مطلقاً)) (٢٣).

وانطلاقاً مما سبق يتضح لنا أن الجملة يشترط فيها الإسناد فقط، في حين يشترط الفائدة التامة التي يحسن السكوت عليها، في الكلام، والنحاة كانوا على دراية بالفرق بين المصطلحين، فلا يطلقون الكلام على كل جملة بل على الجملة المفيدة فحسب، فهي تقوم بما يقوم به الكلام من اداء للمعنى، وأول تعريف اصطلاحى وجدته للكلام هو قول الرماني: ((الكلام ما كان من الحروف دالاً بتأليفه على معنى)) (٢٤) وهو التصور ذاته الذي نلفيه عند أبن هشام في كتابه ((مغني اللبيب عن كتب الأعراب)) فهو يقول: إن ((الكلام هو القول المفيد بالتقصد، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه)) (٢٥).

إن النحاة أولوا الكلام أهمية كبرى وربطوه بما هية الجملة وقسموا عناصرها على أسمية وفعلية من حيث موقع المسند والمسند إليه وما أنجر عنهما من علاقات حددها (تمأم حسان) في العلاقات السياقية (القرائن المعنوية) وحصرها في الإسناد، والتخصيص، والنسبة، والتبعية، والمخالفة (٢٦).

وأقر (ليث أسعد عبد الحميد) بأن ((قصد المتكلم بالجملة أو الكلام إفادة المطلوب عند تألف الكلمات وحسن تأديتها للمعاني المنشودة)) (٢٧)، فهو يريد أن المتكلم إذا قصد إفادة المطلوب فإنه يأتي بكلام يسمى جملة، شرط أن تفيد تمام المطلوب بنفسها من دون احتياجها إلى مساوها، ولذلك جعل الباحث هذه الافادة (مقتزنة باستقلال الجملة، وعدم احتياجها إلى ما يتم معناها، وقد عبر عنها بالمعنى الذي يحسن السكوت عليه)) (٢٨).

ورأى (مجيد طارش عبد) أن ((الكلام مصطلح قديم، والجملة ظهرت بعده وكانت- في أول الأمر- مرادفة له في الاصطلاح، لكنه- عند التحقيق- أعم منها؛ لأن الكلام قد يضم جملاً عدة)) (٢٩).

وانتهى (طلال يحيى إبراهيم الطوبجي) إلى ((ترجيح كون الكلام أعم من الجملة، وذلك بشموله عدة جمل متألفة، كما انتهت إلى اقتراح تعريف للجملة بأنها ((المركب المتضمن علاقة اسنادية واحدة، أو أكثر، مشروطاً فيها الإفادة المعنوية)) (٤٠).

وأكد (الدكتور. خليل عمارة) أن ((الجملة ما كان من الألفاظ قائماً برأسه

وتركيب؛ لأن الإسناد لايتأتى من المفردات، بل من الجمل (٤٤).

أما الدراسات اللسانية الحديثة فقد تأسست على مفهوم الجملة الذي يتميز بالتنوع والاختلاف، وتعد الجملة عندهم أكبر وحدة لغوية قابلة للوصف النحوي، أي أنها تتضمن وحدات لغوية أصغر منها تدخل ضمن الوصف النحوي مثل: الكلمات والحروف (٤٥).

والملاحظ أن النظرية اللسانية تقوم بتحليل اللغة بوصفها مجموعة من الجمل كل جملة تشتمل على شكل صوتي وعلى تفسير دلالي، وقواعد اللغة هي التي تفصل التوافق بين الصوت والدلالة في الجملة، ولذلك تسمى بقواعد الجملة بوصفها الوحدة الأساسية في التحليل اللساني، التي تقف عندها اللسانيات البنوية ولم تتجاوزها إلى وحدات لغوية أكثر منها. ولذلك سميت بلسانيات الجملة (٤٦).

ويمثل التركيب الإسنادي نواة الجملة عند اللسانيين البنويين، الذي يتألف بدوره من عنصرين أساسيين هما المسند ويمثل نواة الجملة، أو الخطاب، والمسند إليه الذي يمثل عنصراً مهماً لتتام الجملة، فتواة التركيب الإسنادي الذي تقوم عليه الجملة لايمكن أن يزول ولافسدت، أما بقية العناصر المتعلقة به وهي فضلات فتضاف لتحديد الزمان والمكان، أو لتخصيص أحد عناصر الإسناد فإذا حذفها لا تختل الجملة (٤٧).

مما تقدم يتبين لنا أن التراث النحوي كان تراثاً مزدهراً، منذ أن رأى النور إذ لم يتوقف عند قرن من القرون، ولم يجد تباطؤاً عند نحائنا، بل كانوا يمدون هذا الإرث العماق بعصارة أفكارهم ودقة

الجملة نحو: المفوظ، والتلفظ، والخطاب، والنص، تدل هذه المصطلحات على قيام لسانيات جديدة تختلف عن لسانيات الجملة لها مفاهيمها الخاصة ورؤاها المتميزة في التحليل (٤٢).

ومن يديم النظر في آراء سيبويه وأقواله المختلفة، ولاسيما رأيه في الجملة والكلام يجدها تشابه مع الدراسات اللغوية المعاصرة المهتمة بتحليل الخطاب، ونحو النصوص وبذلك فإن الكتاب في حقيقة فحواه، ليس كتاباً في النحو والصرف والصوت، والدلالة بالمعنى التقليدي المعروف؛ بل هو كتاب في التحليل اللغوي لعلوم العربية التي تناولها سيبويه بالبحث، والتقصي للحقائق اللغوية (منطلقاً من مبدأ وصفي وتعليقي يكون مع مبادئ أخرى كالجهاز المفاهيمي للنظرية النحوية التراثية) (٤٣).

ومن جهة أخرى، فإن الباحث العراقي كانت له وقفة متميزة في تأصيل هذا المصطلح، إذ أدلى دلوه ووضع يده على حقيقة علمية مفادها أن سيبويه كان في أعلى درجات الإدراك والوعي بأن النحو ليس دراسة أواخر الكلمات والبحث عن اثر العامل فيها، بل هو بحث عن العلاقات المعنوية والوظيفية بين أجزاء التركيب، وهذا ما توصل اليه الباحث (حسن عبد الغني الاسدي) بقوله: إن الجملة كانت مدار البحث عند سيبويه، إذ أبدع في دراستها مستوعباً جميع صورها المحتملة في كلام العرب الفصح، وموظفاً لتحقيق هذه الغاية اقصى درجات الخبرة والاطلاع والثروة اللغوية التي أمثلتها، وبذلك لن يكون النحو العربي، ممثلاً بكتاب سيبويه نحو مفردة، بل نحو جملة،

مفيداً لمعنى يحسن السكوت عليه) (٤١).

وبإزاء ما تقدم تبغي الإشارة إلى أمر لا يخلو من أهمية، وهو أن القول في اشتراط الفائدة في الجملة، قول فيه نظر، إذ لو اشترطنا الفائدة وحسن السكوت ما أستوعب هذا المصطلح تقسيماته المختلفة، فماذا نقول في جملة المدح والذم: حيناً ولا حيناً، وجملة الشرط: إن تدرس، وعليه فإن عدم اشتراط الفائدة في الجملة هو الأقرب إلى الواقع اللغوي، وبذلك تكون الجملة أعم من الكلام.

وإذا ما نظرنا إلى الأقوال السابقة للباحث العراقي تبين لنا اختلاف وجهات النظر إلى هذا المصطلح، كل حسب نظريته العلمية ومنطلقاته الفكرية، فكان حربياً ببحث مختص في متابعة جهود الباحثين العراقيين المبذولة في دراسة الجملة العربية أن يلتفت إلى هذا الأمر، ليحقق هدفين في آن واحد، الهدف الأول، عرض مآلد الباحث العراقي من أفكار وقدرات على تحليل المصطلح، وما اعتمده من آليات فكرية في التحليل وصولاً إلى تقييم عمله- قدر الإمكان.

والهدف الثاني، النظر إلى عمل الباحث العراقي نظرة موازنة تتيج المعرفة والإختيار لأفضل الطرائق التي يمكن سلكها لدراسة المصطلحات عموماً ومصطلحات الجملة خصوصاً.

من اللافت للنظر أن الدراسات اللسانية الحديثة تؤكد حتمية تعدي الجملة إلى وحدات لغوية أكبر منها قابلة للتحليل لما في ذلك من فائدة تعود على تحليل الجملة ذاتها، وبناءً على ذلك ادخلوا مصطلحات ومفاهيم جديدة غير

استنباطهم.

وإذا ما وصلنا إلى العصر الحديث، القرن العشرين فلا نجد جموداً عند حال، فهم واصلوا ما كان عليه أسلافهم. وهذه الأطروحة التي بين أيدينا تكفلت بالنظر في الدراسات النحوية للجملة العربية في العراق، منذ منتصف القرن العشرين؛ أي من ١٩٦٧م وحتى عام ٢٠٠٠م، ولذلك سنحاول أن نذكر الاتجاهات التي الفت في ضوءها هذه الدراسات.

إذ إنَّ الاتجاهات التي سعينا إلى بيانها في هذا البحث، توصلنا إليها بعد استتراء دقيق للمؤلفات النحوية في الجملة العربية في الرسائل والأطاريح الجامعية، التي تعنى بهذا الموضوع.

وقبل البدء بذكر تلك الاتجاهات، لا بد من التنويه لما ذكره أثنان من باحثينا المعاصرين محأولين تسليط الضوء على عدد من الاتجاهات التي مرت بها دراسة المحدثين للنحو العربي.

لأول: محاولة (الدكتور. مهدي المخزومي) (٤٨)، الذي حدد اتجاهات التأليف في العراق بـ:

١. تحقيق كتب القدماء.
٢. تأليف كتب ورسائل جامعية في كل ماله علاقة بالنحو من شخصيات وموضوعات.
٣. كتب التجديد، والتيسير.

الثاني: هو محاولة (الدكتور. مكي نومان) (٤٩)، الذي تعرض فيه لبيان اتجاهات التأليف النحوي في العراق مقسماً إياها على: الاتجاه الموضوعي، والاتجاه الشخصي، والاتجاه المدرسي، والاتجاه النظري، والاتجاه

التقليدي، والاتجاه التجديدي.

والملاحظ أنَّ الدراسات النحوية المعاصرة شاركت بقسط وافر في تحديد مفهوم دقيق للجملة العربية، إذ أنطوت في مجملها، على اتجاهين أثنين هما: الأول: أتجاه حاول تطبيق ماحققته نتائج البحوث اللغوية الأوربية، وإخضاع العربية لمنهج تلك البحوث. الثاني: مثل أستمراراً لمنهج النحاة العرب، في البحث اللغوي مع محاولة لتشذيبه.

فمن الباحثين الذين مثلوا الاتجاه الأول (الدكتور. تمأم حسان) الذي عقد فصلاً مطولاً في كتابه مناهج البحث في اللغة. للتفريق بين مصطلحي (اللغة) و(الكلام)، وأنتهى إلى أنَّ الكلام حركات عضوية مصحوبة بظواهر صوتية (٥٠) والجملة وحدة الكلام (٥١). أي أنَّ الكلام أعم من الجملة، وهو يقابل مآذبه إليه بعض النحاة من أن الجملة أعم من الكلام. علماً أنَّه لم يعرض لبناء الجملة في العربية على الرغم من أنه عقد فصلاً في (منهج النحو) (٥٢). يبدو أنَّ تعريف الجملة بـ(وحدة الكلام) تعريف لا ينم على طبيعة لغوية ولا ينسجم مع المنهج الشكلي التركيبي الذي استحدثه دي سوسير (٥٣)، وأستقى منه الدكتور تمأم مادة بحثه. وفي نقده لـ (بلو مفيلد) ((الكلمة أصغر صيغة حرة) أشعر بأن الجملة هي التي تحقق فائدة وتكون مستقلة بنفسها فـ (من) الاستفهامية المفردة، و(لا) النافية المجاب بها (هل رأيت زيداً؟)، كلتاهما، جملة بنفسها. وبذلك تابع النحاة القدامى في هذه المسألة.

أمَّا الاتجاه الثاني، فممثلوه حاولوا أن

يسهلوا تعريف نظام الجملة في العربية، إذ ذكر بعضهم أنَّ الجملة أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، سواء أمن كلمة واحدة تركب هذا القدر أم من أكثر، أو أنَّ الجملة في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، وليس لازماً أن يحتوي على العناصر المطلوبة كلها.

وقرر (مالك المطلبي) ((أنَّ وصف الإطار التركيبي للجملة العربية قد انطوى على أثر واضح للمنطق العقلي السائد في المباحث النحوية، فلما كانت الجملة مركبا فان تحليل هذا المركب سيفضى على وفق التصور المنطقي إلى جزئياته، أو ما يطلق عليه نحويًا، الصيغ الإفرادية، في حين أنَّ (التركيب) في اللغة قد يفضى إلى تراكيب اخرى)) (٥٤).

ونعود الآن إلى ذكر الاتجاهين النحويين في تأليف الجملة العربية في العراق من منتصف القرن العشرين إلى عام ٢٠٠٠م.

الاتجاه الأول: الاتجاه الموضوعي؛

يعد هذا الاتجاه من أكثر الاتجاهات شيوعاً عند الدارسين ويمكن القول: إن دراسة الموضوعات ظهرت بعد أن سعى الباحثون إلى دراسة الشخصيات النحوية. ويعنى هذا الاتجاه ((بالتناول المباشر لمشكلات الجملة العربية ونظمها وقوانينها، وقد يمس مع ذلك بعض المشكلات الأخرى التي تتصل بالصوتيات، أو الصرف، أو المعجم، أو بعض المباحث الدلالية)) (٥٥).

والملاحظ أن هذا الاتجاه هو الأكثر شيوعاً وتشعباً من بين الدراسات النحوية،

الاتجاه الثاني: الاتجاه النظري:
يقوم هذا الاتجاه على البحث فيما وراء القاعدة النحوية من قوانين وأصول، بغية استكشاف تلك القوانين وتحديدها، ومن ثم فهم طبيعة العلاقة بينها وبين القاعدة (٥٦).

إنَّ هذا الاتجاه قائم على كشف الأصول والقوانين التي اعتمدها نحائنا الأوائل قبل الوصول إلى التقعيد النحوي، ثم تتبع الخطوات التي اتبعوها في تنظيم هذه القواعد والتأليف بينها، قد سعى إلى كشف الأسس المنهجية للبحث النحوي، فمن الدراسات النحوية المتعلقة بالجملة العربية التي أتخذت هذا الاتجاه عنواناً لرسائلها:

- نظام الجملة العربية: سناء حميد البياتي، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة بغداد، ١٩٨٢م.
- الجملة الوصفية في النحو العربي: ليث اسعد عبد الحميد، رسالة ماجستير، كلية الآداب- الجامعة المستنصرية، ١٩٨٤م.
- الربط في الجملة العربية: عبد الخالق زغير عدل، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة بغداد، ١٩٨٨م.
- أنظمة الربط في الجملة العربية بين القاعدة النحوية والدلالة: عمران عبد الكريم طويل، رسالة ماجستير، كلية الآداب- الجامعة المستنصرية، ١٩٩٩م.

والملاحظ على هذا الاتجاه، أنَّ باحثينا أَعتمدوا على المنهج الوصفي الاستقرائي متبعين آراء النحاة القدماء في القسم الأكبر من تلك الدراسات، وإن كنا نرى ثمة تميزاً وتفرداً عند بعضهم.

الأخرة: مجيد طارش عبد، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات- جامعة بغداد، ١٩٩٧م.

- الجمل التي لها محل من الإعراب في القرآن الكريم (نحو ودلالة): صاحب منشد عباس، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات- جامعة الكوفة، ١٩٩٨م.
- الدلالة الزمنية للجملة العربية في القرآن الكريم: نافع علوان بهلول العبيدي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية ابن رشد- جامعة بغداد، ٢٠٠٠م.

إنَّ هذا التنوع والتعدد الموضوعي للدراسات النحوية بحسب هذا الاتجاه، ينبىء بكثرة التأليف في الاتجاه الموضوعي، إذ سعى باحثونا إلى دراسة الموضوعات النحوية وتحليلها.

علماً أنَّ هذا الاتجاه الذي اهتدى به باحثونا في كتابة مصنفاتهم النحوية قد قدم إنجازاً لا يمكن إغفاله في إغناء المكتبة العربية، فقد بذلوا جهداً مباركاً لا يمكن التقليل من شأنه إذ كتبت الموضوعات النحوية بكل مجالاتها كتابة جديدة اُسمت بجمع المتفرق وتتنوع المسائل النحوية، وجعله في مصنف واحد يفني عن الرجوع إلى المصادر المختلفة إذ لم يدعوا شاردة ولا واردة، إلا استقصوها، وصنّفوها، فهو ما يمكن عده مصدراً أصيلاً من مصادر التراث النحوي، كما اختبرت بحوث هذا الاتجاه صحة القاعدة النحوية بتبنيها التراكيب النحوية في النصوص الشعرية القديمة، وعرجت أحياناً على النصوص الشعرية المعاصرة، لتظهر موقف المبدع المعاصر من القاعدة النحوية.

إذ يعنى بدراسة موضوع واحد من الموضوعات النحوية.

ومن الدراسات التي نهجت هذا المنهج:

- بناء الجملة العربية في ديوان النابغة الذبياني: عبد الجليل عبيد حسين العاني، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة القاهرة، ١٩٧٧م.
- بناء الجملة العربية في ديوان امرئ القيس: قيس إسماعيل الأوسي، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة القاهرة، ١٩٧٧م.
- الجملة العربية في ديوان ليبيد بن ربيعة العامري: مجهد جيجان عبد الدليمي، كلية الآداب- جامعة القاهرة، ١٩٧٧م.
- إلا أن دراسة الجملة العربية تنوعت لتشمل دراسة الجملة في النحو القرآني، ومن ذلك ما نجد في:
- تضمن الجملة غير الشرطية معنى الشرط في القرآن الكريم: اسيل متعب مطرود، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات- جامعة بغداد، ١٩٩٨م.
- الجمل التي لا محل لها من الإعراب في القرآن الكريم (دراسة نحوية): طلال يحيى إبراهيم الطوبجي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية- جامعة الموصل، ١٩٩٩م.
- ثم تتبع باحثونا دلالة الجملة في القرآن الكريم، إذ درست:
- دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم: شكر محمود عبد الله، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب- جامعة الموصل، ١٩٩٠م.
- الجملة الفعلية ودلالاتها في آيات

وجملة القول: أن الدراسات التي تناولت الجملة العربية في عنواناتها أستطاعت أن تسلط الضوء على مساحة كبيرة من هذا الموضوع، الذي يعد من أبرز الموضوعات النحوية وأهمها، فهو نواة النحو العربي.

وقد شارك البحث النحوي للجملة العربية في العراق في رقد الدراسات اللغوية بما هو جديد، فقد نما رويداً رويداً إلى أن وصل إلى مستوى كبير من الرقي والتطور في الفكر النحوي الحديث، وبذلك نستدل على أن الباحث العراقي لم يتوقف عند مرحلة معينة، أو زمن معين، بل بحثاً متطوراً يسعى إلى الإضافة الدائمة.

الهوامش :

- ١- ينظر: من اسرار اللغة: ١٩١.
- ٢- ينظر: مغني اللبيب: ٢٧٤/٢.
- ٣- ينظر: كتاب سيبويه: ٢٣/١-٢٤.
- ٤- ينظر: الجمل في النحو: ٢٣٩-٢٤٦.
- ٥- الإيضاح العضدي: ٩.
- ٦- ينظر: المسائل العسكرية: ٨٣-١٠١، وعنوان الباب هو: (هذا باب ما إذا ائتلف من هذه الألفاظ الثلاثة كان كلاماً مستقلاً)، وهو الذي يسميه أهل العربية الجمل.
- ٧- المسائل العسكرية، مقدمة المحقق: ٢٦-٢٧.
- ٨- ينظر: الأصول في النحو: ٢٢١-٢٨١/٢.
- ٩- مناهج التأليف النحوي: ١٧٥-١٧٦.
- ١٠- الجملة في كتاب سيبويه، مجلة المبرز، العدد (٢): ٨.
- ١١- شرح ابن عقيل: ١/١٤.
- ١٢- حاشية الصبان: ١/١٨٨.
- ١٣- معاني القرآن: ٨/١، وينظر: المقتضب: ٤/٣٤٨.
- ١٤- الحدود في النحو: ٣٩.
- ١٥- الخصائص: ١/١٧.
- ١٦- ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح: ١/٦٨.
- ١٧- ينظر: شرحه على متن ملحمة الإعراب: ٢.
- ١٨- ينظر: المفصل في علم العربية: ٦.
- ١٩- ينظر: المترجل: ٢٨ و ٣٤٠.
- ٢٠- ينظر: مسائل خلافية في النحو: ٣١.
- ٢١- ينظر: شرح المفصل: ١/٢١.
- ٢٢- ينظر: مفهوم الجملة عند سيبويه: ١٧.
- ٢٣- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٣.
- ٢٤- ينظر: شرح الأشموني: ٢١/١، والبهجة المرصية: ٨/١.
- ٢٥- حاشية الصبان: ١/٢١.

- ٢٦- شرح الرضي على الكافية: ٢٣/١.
- ٢٧- ينظر: الهمع: ٣٧/١ ، والجملة العربية والمعنى : ٧ .
- ٢٨- مغني اللبيب: ٤٩٠ ، وينظر: حاشية الدسوقي: ٧٩٧-٧٩٩.
- ٢٩- الاعراب عن قواعد الاعراب: ٦٠ .
- ٣٠- ينظر: الجملة الشرطية في الشعر العراقي المعاصر: ١٧ .
- ٣١- الجملة العربية تاليها واقسامها: ٤ ، وينظر: التعريفات: ٦٩ ، والجملة العربية والمعنى : ٧ .
- ٣٢- أوضح المسالك: ١١/١ ، وينظر: المغني في النحو : ٧٤ - ٧٥ .
- ٣٣- ظاهرة الزيادة في الجملة العربية: ٢٢٠ ، وينظر: العدول من المفرد الى الجملة في القرآن الكريم: ٦-٨.
- ٣٤- الحدود في النحو: ٤٢ .
- ٣٥- مغني اللبيب: ٤٩٠ .
- ٣٦- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٨٩ ، ٢٠٤ .
- ٣٧- الجملة الوصفية في النحو العربي: ٥ .
- ٣٨- المصدر نفسه : ١ .
- ٣٩- الجملة الفعلية ودلالاتها في آيات الآخرة : ٤٢ .
- ٤٠- الجمل التي لا محل لها من الإعراب في القرآن الكريم: ٢٤٥ .
- ٤١- ينظر: من لسانيات الجملة الى علم النص، مجلة الموقف الأدبي، العدد(٤٠١): ١-٥ .
- ٤٢- جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي: ١٠ .
- ٤٣- ينظر: مفهوم الجملة عند سيبويه: ١٧-١٨ .
- ٤٤- ينظر: بحوث أسنوية عربية: ٥١ .
- ٤٥- ينظر: نفسه: ٥١ .
- ٤٦- ينظر: مبادئ اللسانيات العامة: ١٠١ .
- ٤٧- ينظر: الدرس النحوي في بغداد: ٨٤-٨٥ .
- ٤٨- ينظر: البحث النحوي في العراق في الكتب والرسائل الجامعية ١٩٦٨-١٩٩٤: ١٠-٢٤ .
- ٤٩- ينظر: مناهج البحث في اللغة: ١٩٥ .
- ٥٠- ينظر: المصدر نفسه: ١٢ .
- ٥١- ينظر: المصدر نفسه: ١٩٢ .
- ٥٢- ينظر: المصدر نفسه: ٣١ .
- ٥٣- الجملة الشرطية في الشعر العراقي المعاصر: ٢١-٢٢ .
- ٥٤- في مشكلات البحث النحوي: ٥ .
- ٥٥- ينظر: المصدر نفسه: ٥ .

مصادر البحث :

- ١- الأصول في النحو: ابن السراج(٢١٦هـ) ، تحقيق: د.عبد الحسين الفتلي، ط(١) ، عالم الكتب، بغداد، ١٣٩٢هـ-١٩٧٣م.
- ٢- الاعراب عن قواعد الاعراب: ابن هشام الانصاري، عبد الله جمال الدين بن يوسف(٧٦١هـ) ، تحقيق: رشيد عبد الرحمن العبيدي: ط(١) ، دار الفكر-بيروت، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

- ٣- أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك: ابن هشام الانصاري، ومعه كتاب بغية السالك إلى أوضح المسالك، عبد المتعال الصعيدي، ط(٢)، القاهرة، ١٢٨٢هـ-١٩٦٤م.
- ٤- الإيضاح العسدي: أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد (٢٧٧هـ)، تحقيق: د. كاظم بحر، ط(١)، عالم الكتب بيروت-لبنان، ١٩٩٦م.
- ٥- البحث النحوي في العراق في الكتب والرسائل الجامعية (١٩٦٨-١٩٩٤) (اطروحة دكتوراه)، أعدها الباحث مكي نومان مظلوم، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ٦- بحوث أسننية عربية: ميشال زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ط(١)، (لا.ت).
- ٧- البهجة المرضية في شرح متن الألفية في الصرف والنحو: السيوطي، دار المطبعة المحمودية التجارية بمصر-القاهرة، (لا.ت).
- ٨- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ابن مالك، أبو عبد الله محمد جمال الدين (٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي-القاهرة، ١٢٨٧هـ-١٩٦٧م.
- ٩- التعريفات: السيد الشريف الجرجاني، علي بن محمد (٨١٦هـ)، تقديم: د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد، (لا.ت).
- ١٠- الجملة في كتاب سيويوه: د. عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة المبرز، العدد (٢)، ٢٠٠١م.
- ١١- الجمل في النحو: أبو القاسم الزجاجي، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، ط(٢)، مؤسسة الرسالة-بيروت، دار الأمل-الأردن، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ١٢- الجملة العربية تأليفها وأقسامها: د. فاضل صالح السامرائي، منشورات المجمع العلمي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر-بغداد، (لا.ط)، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- ١٣- الجملة العربية والمعنى: د. فاضل صالح السامرائي، ط(١)، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- ١٤- الجمل التي لامحل لها من الإعراب في القرآن الكريم، دراسة نحوية (اطروحة دكتوراه): أعدها الباحث طلال يحيى إبراهيم الطويجي، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- ١٥- جملة الشرط عند النحاة والاصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي: د. مازن الوعر، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، ط(١)، مطبعة دار نوبار للطباعة-مصر، ١٩٩٩م.
- ١٦- الجملة الشرطية في الشعر العراقي المعاصر، دراسة نحوية في شعر السياب ونازك الملائكة والبياتي، (رسالة ماجستير): أعدها الباحث مالك يوسف المطليبي، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- ١٧- الجملة الفعلية ودلالاتها في آيات الآخرة (رسالة ماجستير): أعدها الباحث عبد المجيد طارش عبد، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ١٨- الجملة الوصفية في النحو العربي (رسالة ماجستير): أعدها الباحث ليث اسعد عبد الحميد، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- ١٩- حاشية الدسوقي: مصطفى محمد عرفة (١٢٣٠هـ) على مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام، وبهامشة السبك العجيب في نظم مغني اللبيب: عبد الحفيظ سلطان المغرب الأقصى (١٢٥٦هـ)، ط(١)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة-مصر، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- ٢٠- حاشية الصبان: محمد بن علي (١٢٠٦هـ) على شرح الأشموني: علي بن محمد (٩٢٩هـ) علي الفية ابن مالك، دار احياء الكتب العربية-القاهرة، (لا.ت).
- ٢١- الحدود في النحو: (رسالتان في اللغة): الرماني (٢٨٤هـ)، تحقيق: مصطفى جواد، ويوسف يعقوب مسكوني، (لا.ط)، بغداد، ١٩٦٨م.
- ٢٢- الخصائص: ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني (٢٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار (١٩٦٦م)، ط(٤)، بغداد، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- ٢٣- الدرس النحوي في بغداد: د. مهدي المخزومي (لا.ط)، سلسلة الكتب الحديثة، وزارة الاعلام-الجمهورية العراقية، ١٩٧٤م.
- ٢٤- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: بهاء الدين عبد الله بن عقيل (٧٦٩هـ)، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل: تاليف محمد محيي عبد الحميد، ط(١٥)، دار الفكر ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
- ٢٥- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه كتاب واضح المسالك لتحقيق منهج السالك: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط(٢)، دار الاتحاد

- العربي للطباعة، (لا،ت).
- ٢٦- شرح المفصل: ابن يعيش يعيش بن علي(٦٤٣هـ)، (لا،ط)، ادارة المطبعة المنيرية، (لا،ت).
- ٢٧- شرح الكافية: رضي الدين الاسترابادي(٦٨٦هـ)، (لا،ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (لا،ت).
- ٢٨- ظاهرة الزيادة في الجملة العربية: (أطروحة دكتوراه): أعدها الباحث محمد جواد محمد سعيد الطريحي، الجامعة المستنصرية، كلية الاداب، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- ٢٩- العدول من المفرد الى الجملة في القرآن الكريم (رسالة ماجستير): أعدها الباحث عبد الجليل محمد مجيد، جامعة بغداد، كلية الاداب، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- ٣٠- الفوائد الضيائية(شرح كافية ابن الحاجب): للجامي (٨٩٨ هـ)، تحقيق: د.اسامة طه الرفاعي،(لا،ط)، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية-العراق، (لا،ت).
- ٣١- في مشكلات البحث النحوي: د.علي أبو المكارم، الموسم الثماني لكلية اللغة العربية، جامعة ام القرى، كلية اللغة العربية، ١٩٨٢-١٩٨٣م.
- ٣٢- الكتاب: سبويه، عمرو بن عثمان(١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط(٢)، مكتبة الخانجي بمصر، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ٣٣- اللغة العربية معناها ومبناها: د.تمام حسان، (لا،ط)، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة-المغرب، (لا،ت).
- ٣٤- مبادئ في اللسانيات العامة: د.خولة طالب الابراهيمى، (لا،ط)، دار هومة الجزائر، ٢٠٠٠م.
- ٣٥- المرتجل: ابن الخشاب، عبد الله بن أحمد(٥٦٧هـ)، تحقيق: علي حيدر، دار الحكمة-دمشق، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
- ٣٦- مسائل خلافية في النحو: أبو البقاء العكبري(٦١٦هـ)، تحقيق: محمد خير الحلواني، ط(١)، منشورات مكتبة الشهباء، حلب، (لا،ت).
- ٣٧- المسائل العسكرية في النحو العربي: أبو علي الفارسي، تحقيق: د.علي جابر المنصوري، ط(٢)، مطبعة الجامعة-بغداد، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م+مقدمة المحقق).
- ٣٨- معاني القرآن: الفراء، يحيى بن زياد(٢٠٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، ط(٣)، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ٣٩- مفتي اللبيب عن كتب الاعراب: ابن هشام الانصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (لا،ط)، المكتبة العصرية-بيروت(١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).
- ٤٠- المقتضب: المبرد، محمد بن يزيد(٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضية، (لا،ط)، عالم الكتب-بيروت، (لا،ت).
- ٤١- مناهج البحث في اللغة: د.تمام حسان، (لا،ط)، دار الثقافة، دار البيضاء، ١٤٠٠هـ-١٩٧٨م.
- ٤٢- من أسرار اللغة: د.ابراهيم انيس، ط(٥)، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٥م.